



ينعتون المتوفى بشئى النعوت التى لا أحب أن أنعت بها قط . . . ووجدتني مضطراً أن أنطوى على نفسي وأفكر بدورى فى شئ . . . أى شئ . . . ولكن عقلى الصغير لم يستطع التفكير إلا فى هذه المشكلة التى أقامها صديقنا الراحل . . . لقد مات . . . وعلينا نحن الأصدقاء أن نحزن لموته . . . سألت عقلى : لماذا ؟ فخيّل إلى أنه يبتسم ثم خيل إلى أنه يقول :

دع هذا لغيرك : أما أنت فلا تكلف نفسك عناء هل تظن أنك لو حزنت على هذا أو ذاك سيناله قليل أو كثير أو يئالك أنت كثير أو قليل ؟ ثم هب أن الناس فى هذا العالم العريض قد أجيبوا إلى رغبتهم فلم يقبض الموت منهم من يحبون . فإذا ترى العالم يصير ؟ ثم هذا الذى تحبه أنت فتمنى له عمر الأبد ، ألا تظن أن هنالك من يتمنى أن يختصر فى طرفة عين ، ولو قال لك شخص تحبه أنه سيعيش الدهر كله هل أنت مصدقه ؟ فمالك إذن إذا مات تستنكر موته ؟ ألا تدرى أن الحياة ليست إلا كالساقية التى نراها تدور فى الريف لا يمتلىء بعض دلائها إلا فرغ الآخر ، وعندما تدور الساقية قان الدلو الأعلى لا ينزل إلى أسفل إلا بعد أن يفرغ جميع مائه ، وهكذا الإنسان إذا مات فاعلم أنه لم يبق منه خير للأرض ولا بد أن تدور الساقية لكى تزدهر الأرض . وقد كان الناس منذ خلقت البسيطة يموتون ، وسيستمر هذا التقليد فى الحياة إلى الأبد ، ويانكبة العالم لو نجح هؤلاء التعساء المسكدودين فى تخليد الإنسان أو إطالة عمره فزادهم عالمنا بملايين من الظهور المنحنية والركب المتصاكه والأيدي المترعشة ، وهمهم أداموا للإنسان شبابه وحيويته فغدا كالحقيقة لا تزيد الأيام إلا قوة . . . أما ترى الناس وقد تكاثروا حتى ملؤا أطباق الأرض فاعلمين؟ إن بصيرتى المتواضعة لن تجد حلا لمثل هذا الموقف إلا أن يأكل كل الناس بعضهم بعضاً ، وما أظن الناس ألا يفضاؤون أن تأكل أجسامهم الديدان بعد موتهم على أن يفرسهم إنسان كاسر . . .

ياله من عقل معتوه . . .

معتوه

يقول العقلاء أن الإنسان لا يرضى عن شئ فى الحياة قسم له إلا نوع العقل الذى وهبه الله ، فلن تجد من يشكو من حمقه أو عته أو ضعف عقله . . .

ولعل ما قالوه حق كله ، ولعل من بعد ذلك من ميزه العقلاء أنفسهم ، أما أنا وأمثلة من خلق الله الذين يعرفون قدر أنفسهم فلا أرى ضيراً من الإعتراف بهذا النقص الذى أحسه فى عقلى . . .

فلقد حاولت مراراً لا عد لها أن أثبت لنفسي أنني متمتع بقوة فى الإدراك لا تقل عن أى شخص عادى من هؤلاء الناس الذين أعيش بينهم ، ولكنى كنت أفضل دائماً ، لأننى لا أستطيع الوصول إلى ما يصلون إليه من نتائج يجمعون على صحتها .

لقد كان لنا صديق يجتمع إلينا فى كل حين ولكنه اختفى عنا فى أحد الأيام وطال اختفاؤه حتى أننا صديق آخر نخبرنا أننا لن نرى بعد اليوم الصديق المعهود ، لقد مات . . . فى حادث مفاجئ فقد خسر ثروته فى إحدى المضاربات المالية ولم يحتمل شدة الصدمة فأفرغ رصاص مسدسه فى رأسه وانتهى بذلك . . .

أما أنا فلم يهزنى الخبر ، وكنا بحديث انقطع بهذا الصديق فحاولت استئنافه ولكن زملائي نظروا إلى نظرة نكراء وقد لبسوا أقنعة من الألم والحسرة ، وأخذوا يحولون ويرجعون . . . بالله هذا الصديق العزيز كيف مات وهو فى ريعان الصبى . . . ومن لنا بمن يملؤ فراغه . . . ولمن لدينا مثله مخلصاً محباً ، إلى غير ذلك من عبارات لم أفهم لها معنى . . . فقد مات وانقضى . ولا أدري ماذا ينتفع المسكين بهذه العبارات أما الذى أدريه ، فهو أن الجو اللطيف الممتع الذى كنا فيه قد اكفر ، ولأننى بدأت باحتقار بعض الحاضرين الذين كانوا منذ أيام قلائل